

تحقيقات في المختلف من نسخ نهج البلاغة
بين المشهور وضبط الحليين (ابن السكون الحلي
ت حدود ٦٠٠ هـ) و (ابن أردشير الطبري الحلي
حيًا ٦٨١ هـ) (الخطبة الأولى / القسم الثاني)

أ.د. علي عباس الأعرجي
مركز تراث الحلة

*Verifications at Various Versions of Nahj
Al-Balagha between the famous and accuracy
of the Hillians (Ibn Al-Sukun Al-Hilli, D. 600
A.H) and (Ibn Ardashir Al-Tabari Al-Hilli,
alive in 681 A.H) (First Sermon/Section Two)*

*Prof. Dr. Ali Abbas Al-Araji
Hilla Heritage Center*

المطلب السادس

الخطبة الأولى^(١)

(يذكر فيها ابتداء خلق السماء والأرض، وخلق آدم عليه السلام)

١. نعماء^(٢)، وبقاءه.

في قول أمير المؤمنين: «وَلَا يُحْصِي نِعْمَاءَ الْعَادُّونَ»^(٣).

رواية (بقاءه) غير موجودة في شروح نهج البلاغة، وهي في ما يبدو من غلط السُّاخ، ولكن يمكن أن يكون فيها وجه، وهو: أَنَّ الْعَادِّينَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقْوَمُوا بِإِحْصَاءِ بَقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْوُجُودِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَوَّلُ بَلَاءٍ أَوَّلَ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ بَلَاءٌ آخِرُ يَكُونُ بَعْدَهُ، وَمَنْ هُمُ الْعَادُّونَ حَتَّى يَحْصُوا بَقَاءَ اللَّهِ؛ إِذْ هَذَا الْأَمْرُ غَيْرُ مُمْكِنٍ عَقْلًا؛ فَالْبَقَاءُ بَقَاءُ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ إِحْصَاؤُهُ.

أَمَّا (نعماءه)، فمأخوذ من النعمة، قال الخليل (ت ١٧٥ هـ): «وَالنِّعْمَاءُ اسْمُ النِّعْمَةِ.. وَالنِّعْمَةُ: الْيَدُ الصَّالِحَةُ، وَأَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَجَارِيَةٌ نَاعِمَةٌ مَنْعَمَةٌ، وَأَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ

(١) في (أ): الصحيحة: ٤٥ (نعماءه)، وفي (سكون): ٦٧: (نعماءه)، وفي (أردشير): ٦: (نعماءه)، وفي تحقيق الفرطوسي: ١٧٣/١ (نعماءه)، ولكنه ضبطها بكسر النون (نعماءه).

(٢) وفي بعض النسخ (نعمه). انظر: (أ): ٤٥، الهامش ٢، انظر: منهاج البراعة: ٢٦/١، وهو جمع (نعمه)، وقد يجمع جمع قلة على (أنعم)

(٣) نهج البلاغة، تحقيق الصالح: ٣٩، وكلُّ ضبطٍ للنصوص سيكون من تحقيق الصالح؛ سواءً اتَّفَقْنَا مَعَهُ أَمْ لَمْ نَتَّفَقْ.

عيناً، ونعم بك عيناً، أي: أقرّ بك عينَ من تحبّ، وتقول: نعمة عين، ونعماء عين، ونعام عين^(١).

قال الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)^(٢): والنُّعْمَى كالنَّعْمَةِ، فإن فتحت النون مددت فقلت: النَّعْمَاءُ، والنَّعِيمُ مثله، وفلانٌ واسعُ النَّعْمَةِ؛ أي: واسعُ المال^(٣).

والنُّعْمَى والنَّعْمَاءُ والنَّعِيمُ والنَّعْمَةُ - الخفض والدَّعَةُ والمال، وجمع النَّعْمَةِ أنعم كشدّة وأشدّ، وقد تنعمَ والنَّعْمَةُ - التنعمُ والنَّعْمَةُ - الغنى، والمال^(٤).

والنَّاعِمَةُ، والمُنَاعِمَةُ، والمُنْعَمَةُ: الحسنة العيش، والغذاء، المترفة، النَّعْمَةُ: اليدُ البيضاء الصالحة، والصَّنِيعَةُ والمِنَّةُ، وما أنعمَ به عليك^(٥).

ونعْمَةُ الله، بكسر النون: منهُ، وما أعطاه الله العبدَ ممّا لا يُمكن غيره أن يُعطيه إياه كالسَّمْعِ والبَصَرِ، والجمعُ منهما نِعَمٌ وأنعمَ، وقوله ﷺ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ لقمان: ٢٠.

ومّا تقدّم لنا إيجازُ معانيها في المعجمات، وهي مهما تكن فهي قد تدلُّ على المعاني الحسيّة والمعنويّة، وعلى الآتي، والحسيّة، والمعنويّة تكون:

١. اليد الصالحة.

٢. سعة المال.

٣. حُسن العيش (المادّي)، والغذاء.

(١) العين: ١٦٢/٢، وانظر: الصّحاح: ٢٠٤٣/٥.

(٢) بعضهم أثبت وفاته بعد سنة ٤٠٠هـ.

(٣) الصّحاح: ٢٠٤٣/٥.

(٤) انظر: المخصّص: ج ٣ ق ٣ (السفر الثاني عشر): ٢٩٠.

(٥) اللسان: ٥٨٠/١٢.

٤. نِعَمَ اللهُ من سَمِعَ وبصر، وحَفِظَ، وما شاكَلَهَا.

٥. المِنَّة.

٦. الحَقْفُض، والدَّعَة.

أو ما يدلُّ على الأعمَّ من (الحسِّيِّ) المادِّيِّ والمعنويِّ، كقوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾؛ فهنا نِعْمُهُ أعمُّ من أن تكون مادِّيَّة، أو معنويَّة.

أما عن أصل (نعماء)، فأصلُّها (نعمى)؛ ولَمَّا فتحتَ الثَّوْن مددتَ فقلت: النِّعْماء؛ وفي هذا المدُّ دلالةٌ على نِعَمِ الله الممتدَّة، والمستمرَّة.

ونعماء ليست جمعاً؛ وإنَّما لفظٌ دلَّ عليه، ولا يناسب جعله جمعاً، ولا مصدرًا، ولا صفةً^(١).

وهنا كلامٌ لابن أبي الحديد (ت ٦٥٦هـ) أحبُّ أن أوردَه لك: «وقول أمير المؤمنين عليه السلام: (لَا يُحْصِي نِعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ) بلفظ الجمع سرٌّ عجيب؛ لأنَّه تعالى أراد أنَّ نعمةً واحدةً من نِعَمِهِ لا يمكن العباد عدَّ وجوه كونها نِعَمِهِ، وأراد أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ أصول نِعَمِهِ لا تُحصى؛ لكثرتها؛ فكيف تعدُّ وجوه فروع نِعَمائه، وكذلك في كون الآية^(٢) واردة بلفظة (إن) الشرطيَّة، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام على صيغة الخبر، تحتَه لطيفة عجيبة؛ لأنَّه سُبْحانه يريد أنكم إن أردتم أن تعدُّوا نِعَمِهِ لم تقدروا على حصرها، وعليَّ عليه السلام أخبر أنَّه قد أنعم النَّظَر؛ فعلم أنَّ أحدًا لا يمكنه حصر نِعَمِهِ تعالى»^(٣).

والله العالمُ.

(١) التحقيق في كلمات القرآن: ١٧٩/١٢.

(٢) يقصد سورة إبراهيم: ٣٤ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾.

(٣) شرح ابن أبي الحديد: ٦٥-٦٦.

٢. غوص، وغور^(١).

في قول أمير المؤمنين: «وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ»^(٢).

قال الجوهرى: الغَوْصُ: النزول تحت الماء، وقد غاص في الماء، وهاجم على الشيء غائصًا، والغَوَّاصُ: الذي يغوص في البحر على اللؤلؤ، وفعله الغِيَاصَةُ^(٣).

ويذكر ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) أَنَّ (غ، و، ص) أصلٌ صحيح يدلُّ على هجومٍ على أمرٍ مُتَسَفِّلٍ؛ من ذلك الغوص الدُّخول تحت الماء، وهاجم على الشيء غائصًا، وغاص على العلم الغامض حتَّى استنبطه.

ويقول ابن منظور الغَوْصُ: النزول تحت الماء، وقيل: الغَوْصُ الدُّخول في الماء، غاص في الماء غَوَّصًا؛ فهو غائصٌ، وغَوَّاصٌ، والجمع غاصَّة، وغَوَّاصُونَ.. والغَوْصُ موضعٌ يُخْرَج منه اللؤلؤ، والغَوَّاصُ: الذي يَغوص في البحر على اللؤلؤ، والغاصَّةُ: مُسْتَخْرَجُوه^(٤).

ومَّا عرضنا نجد معاني تدرج تحت معنيين كليَّين: الأوَّل مادِّي، والثاني معنوي، وهي على الآتي:

١. النزول تحت الماء.

(١) هذا الاختلاف في النسخة موجود فقط في النسخة (سكون): ٦٧، وفي الخطبة (٩٣) رواية أخرى في موضع وموضوع آخر، وهي الخطبة: «وفيها يصف الله تعالى، ثمَّ يبيِّن فضل الرسول الكريم وأهل بيته، ثمَّ يعظ الناس»، وقد ورد قوله: «لا يناله حدسُ الفطن». انظر: (أ): ١٨٢، و(سكون): ٢٢٩.

(٢) نهج البلاغة: ٣٩.

(٣) انظر: الصَّحاح: ٣/ ١٠٤٧.

(٤) اللسان: ٧/ ٦٢.

٢. الغوص في الماء.

٣. الهجوم على الشيء.

٤. اشتقاق المهنة منه (الغياصة).

٥. هجوم على أمرٍ مُتسِفِلٍّ، أي: أسفل كلِّ شيء.

٦. مُطلق النزول تحت الماء، بعمقٍ أم بغيره.

٧. استنباط العلم بالغوصِ في جُزئياته.

٨. موضع استخراج اللؤلؤ.

ونستنتج من السَّابق أنَّ الغوص: هو الورود إلى باطن شيءٍ، والتحرُّك فيه؛ فيكون المعنى: إنَّ الله سبحانه لا يُنال كنهُه؛ إذ مهما بالغ العُقلاء في الغوص بالبحث عن معرفته، لا يمكنُهم ذلك.

والله ﷻ المنزَّه المتعالي عن كلِّ حدٍّ، وحِجابٍ، وأيّ حدٍّ، سواء أكان حدًّا مادِّيًّا، أم حدًّا خارجيًّا، أو حدًّا ذاتيًّا؛ فهو تعالى الوجود الحقُّ، والنور المطلق؛ لا حدَّ له، ولا وصفَ، ولا خصوصيَّة، وهو فوق التخيُّل، والتصور، والتعقُّل؛ فلا يُنال ببُعد الهِمَم، ولا بغوصِ الفِطَن.

أمَّا (غور) فتحمل معاني، جاء في اللسان: غور: غَوْرُ كلِّ شيء: قَعْرُه، يقال: فلان بعيد الغور، وفي الحديث: .. إنَّكم قد أخذتم في شِعْبَيْنِ بَعِيدِي الغور؛ غَوْرُ كلِّ شيء: عُمُقه وبُعدُه، أي يَبْعُدُ أنْ تدرِكوا حقيقةَ علمه، كالماء الغائر الذي لا يُقَدَّر عليه؛ ومنه حديث الدُّعاء: ومن أَبْعَدُ غَوْرًا في الباطل مِنِّي.

وقيل: كلُّ ما انحدر مسيله، فهو غَوْرٌ، وقال الفراء (ت ٢٠٧هـ): أَغَارَ لغةً بمعنى غَارَ، وقال الجوهري: غَارَ يَغُورُ غَوْرًا؛ أي أتى الغور، فهو غائرٌ.

قال ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ): الغور ما انخفض من الأرض، والجلس ما ارتفع منها، يقال: غار إذا أتى الغور، وأغار أيضا، وهي لغة قليلة^(١).

وفي التاج: والغور، أيضا: الدُّخول في الشيء، كالغور، كقعود، والغيار، ككتاب الأخيرة عن سيويته (ت ١٨٠هـ)، ويقال: إنك غرت في غير معار؛ أي: دخلت في غير مدخل^(٢).

وأیضا: والغور: ذهب الماء في الأرض، كالتغوير، يقال: غار الماء غورا وغورا، وغور: ذهب في الأرض، وسفل فيها^(٣).

ومما تقدم لنا استيفاء المعاني الكلية لهذه المادة، وعلى النحو الآتي:

١. بعيد القعر، وغور كل شيء عمقه.
 ٢. الماء الغائر في الأرض مشبهاً بالعلم، ووجه الشبه البعد.
 ٣. منحدر المسيل.
 ٤. إتيان الغور، وهي منطقة في الجزيرة العربية.
 ٥. كل ما انخفض من الأرض.
 ٦. الدخول في الشيء.
- فيكون المعنى المراد من هذه المادة، في سياق الخطبة أن الله تعالى لا يناله غور الأفكار الباحثة عن كنهه، ومعرفة ذاته، ومهما بالغ الدّاخل في البحث عنها؛ لأنّ المتناهي لا يدركُ اللامتناهي.

(١) اللسان: ٣٤ / ٥ وما بعدها.

(٢) التاج: ٣٢٥ / ٧.

(٣) التاج: ٣٢٥ / ٧.

وأما الفروق الدلالية بين اللفظين؛ فالغوصُ أبلغ وأوجه من الغور؛ لأنَّ الغوصَ كثر استعماله في المعنويات، وقُلَّ استعماله في الماديَّات.

وأما الغور فغلب استعماله في الماديَّات، والسِّيَاق لا يرتضي الماديَّات؛ لأنَّ إعمال الفكر لا يتناسب، وهذا المعنى.

الغوصُ أكثرُ إجرائيةً، واستعمالاً في المعاني، والقضايا المعنوية، غاص في الفكر، هذه درَّةٌ كدرة الغواصِّ للتعبير عن الكلمات الجوهرية.

وأما الغور، فيستعمل في الماديَّات، أرضٌ بعيدةُ الغور، غارت الأرض، وغيرها ممَّا سبق ذكره.

والغوص يكون عادةً في إعمال الفكر للوصول إلى النتائج، وأما الغور فرمي الشيء وتسفله في الأرض، من دون إعمال نظرٍ، وروية.

الغوص يكثر استعماله في الماء، والبحر الذي هو مورد المبالغة، والتكثير في الأشياء.

وإسنادُ الغوص هاهنا إلى الفطن (غوصُ الفطن) جاء على سبيل الاستعارة؛ إذ الحقيقةُ إسناده إلى الحيوان بالنسبة إلى الماء، وهو مستلزمٌ لتشبيهه المعقولات بالماء، ووجه الاستعارة هاهنا أنَّ صفات الجلال، ونعوت الكمال لمَّا كانت في عدم تناهيها، والوقوف على حقائقها، وأغوارها تشبه البحر الخضمَّ الذي لا يصل السَّاحلُ له إلى ساحلٍ، ولا ينتهي الغائص فيه إلى قرارٍ، وكان السَّاحلُ لذلك البحر، والخاض في تياره هي الفطن الثاقبة لا ريب أن كانت الفطنة شبيهة بالغائص في البحر؛ فأسند الغوص إليها^(١).

(١) انظر: شرح نهج البلاغة: ١١٤ / ١.

وقد يكون معنى قول أمير المؤمنين: «وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ»: أي: لا يدركه هجوم الأفهام على أمرٍ مستقبل؛ بل إنّما هو يُعرف تبارك وتعالى بالدلائل المحسوسة من أفعاله، أو بنفس الوجود، واعتباره، وانقسامه.

ويُحتمل أن يكون معنى قول مولى الموحّدين «وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ» على عادة العرب، وهو أنّهم يقولون: لو سقانا نوء كذا، لآمنّا بالله وعرفنا وحدانيّته، ولو رزقنا الله أنّنا نحيا، لعرفنا أنّه الله الَّذي لا إله إلّا هو؛ ففي ذلك الطّريق يقال: لا يدركه هجوم الإفهام على أمرٍ مستقبلٍ مُتوقّع.

وقال بعض المحقّقين معنى قول أمير المؤمنين: «وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ» إنّ العقل عاجزٌ عن إدراك عجزه، كما أنّ الوهم بالضرورة عاجزٌ عن إدراك المعقولات، وإدراك العقل عاجزٌ عن إدراك عجزه الحقيقي؛ فكيف يتعجّب المتعجّبون أنّه عاجزٌ عن إدراك حقيقة الحقّ، وحقيقة علمه، وتفاصيل معلوماته ومقدوراته، والتّقدير الإلهي الَّذي هو ينبوع الوجود الحادث^(١).

أمّا (غور) فلم يُسمع أنّهم بالغوا أن قالوا: فلانٌ بعيد الغور؛ بل يقولون فلانٌ يغوص في الفكر، وهو البديل المجازي للدّرر، واللالئ.

من هذا يترجّع عندي مادّة (غوص)؛ لكثرة استعمالها، ولدلالاتها على الأمور المعنويّة، فضلاً عن ذلك، قد يكون ما حصل هنا هو من فعل النّسّاخ (التّصحيف والتّحريف)؛ بسبب القراءة المغلوطة للنصّ؛ فالكلمتان مُتشابهتا الرّسم (غوص، غور)؛ فالنّظر لنهاية (الصّاد، والرّاء) ولا سيّما إذا كُتب الخطُّ بالخطّ الأندلسيّ (غوص، غور) هكذا، وكذا الخطّ الفارسيّ.

والله أعلم.

(١) انظر: معارج نهج البلاغة، البيهقي: ٣٣-٣٤.

٣. لَيْسَ، ولا^(١).

في قول أمير المؤمنين: «الَّذِي لَيْسَ لِيَصِفَتِهِ حَدُّ مُحَدُّوْدٌ» «الَّذِي لَا لِيَصِفَتِهِ حَدُّ مُحَدُّوْدٌ».

جاء في العين: ليس: كلمة جحد، قال الخليل: معناه: لا أيس؛ فطُرِحَتِ الهمزة، وأُلزِقَتِ اللامُ بالياء، ودليله: قول العرب: ائتني به من حيثُ أيس، وليس، ومعناه: من حيث هو، ولا هو^(٢)، وقال: إنَّ (لَيْسَ) معناها: لا أيس؛ أي: لا وجد^(٣).

وليس: كلمة نفى، وهي فعلٌ ماضٍ، وأصلها لَيْسَ بكسر الياء^(٤)؛ فسكَّنتِ استثقالاً، ولم تُقْلَبْ أَلْفاً؛ لأنَّها لا تتصرَّف، من حيثُ استعملت بلفظ الماضي للحال^(٥).

لا أريد الخوض بفعليَّتها، والخلاف الحاصل فيها، وأصولها السَّامية^(٦) بقدر ما أبحث عن معناها إنَّ وردت في الجُملة.

في معناها يقول إمامُ النَحْوِيِّين: «فمعنى ليس النفي كما أنَّ معنى كان الواجب، وكلُّ واحدٍ منهما يعني كان، وليس إذا جرَّدته فهذا معناه؛ فإن قلت ما كان أدخلت

(١) هذه الرواية (لا لصفته) من مختصَّات (سكون): ٦٧، وغير موجودة في (أ)؛ بل كلُّ من ذكرها في كتابه وضمَّنها خطبه، ذكرها (ليس لصفته). انظر: الكافي: ١/ ١٣٥، ١٣٧، التوحيد للصدوق: ٤٢، الغارات: ١/ ١٧٢، وغيرها كثير.

(٢) ٣٠٠/ ٧.

(٣) العين: ٣٣٠/ ٧، وانظر: مقاييس اللغة: ١/ ١٦٤.

(٤) انظر: مغني اللبيب: ١/ ٣٨٧.

(٥) انظر: الصَّحاح: ٣/ ٩٧٦.

(٦) كفانا مؤونة ذلك الأستاذ الدكتور ستار الفتلاوي، أستاذ الدراسات المقارنة، آثار القادسيَّة، في كتابه (فعل الوجود في اللغات السامية)، طبعة دار تمَّوز، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.

عليها ما يُنفَى به؛ فإن قلت ليس زيدٌ إلّا ذاهبًا أدخلت ما يوجبُ كما أدخلت ما يُنفَى، فلم تُقَوِّ ما في بابِ قلبِ المعنى كما لم تُقَوِّ في تقديم الخبر^(١).

وأكد ابن هشام نفياً، ف(ليس) عنده كلمة دالة على نفي الحال^(٢)، عند الإطلاق^(٣).

ومما تقدّم يكون معناها نفي النسبة بين الفاعل والخبر، من دون نظرٍ إلى زمانٍ، أو مكانٍ، وفيها معنى التحقق، والتأكد لقرب صيغته من الماضي المتصرّف^(٤).

وهذا هو الفرق بينه وبين (ما)، و (لا) النافيتين، مع كونها حرفين^(٥).

والحالة التركيبيّة للفظة (ليس) (لا + أيس)؛ أي: الوجود تدلُّ دلالةً قطعيّةً على نفي الموجود المناظر له سبحانه؛ فهذه الصيغة تدلُّ على الاستغراقية في النفي^(٦).

أمّا (لا النافية)^(٧)، فهي أقدم حروف النفي في العربية^(٨)؛ والنفي فيها لا يدلُّ على هذا التّحقّق المراد من تأكيد نفي النسبة بنفيها زمانياً، ومكانياً، ولا تنفي الحال أيضاً؛ فهي تفيد مُطلق النفي موضوعاً، لا حالاً.

فضلاً عن أنّ النفي بالأدوات المختصة يكون آكد، وأبلغ من النفي بالأدوات غير المختصة.

(١) كتاب سيبويه: ٥٩ / ١.

(٢) انظر: مغني اللبيب: ٣٨٦ / ١.

(٣) انظر: معاني النحو: ١٦٣ / ٤.

(٤) انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٢٧٣ / ١٠.

(٥) انظر: المصدر نفسه.

(٦) انظر: فعل الوجود في اللغات السامية: ٢٥.

(٧) للمزيد في (لا) وأنواعها ينظر: مغني اللبيب: ٣١٣ / ١ وما بعدها.

(٨) انظر: التطوّر النحوي: ١١٥.

وبهذا يتأكد قول أمير المؤمنين «لَيْسَ لَصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ»؛ أي: لا نهاية لكونه مختصاً بالوجود؛ لأنه قديمٌ، وليس لعالميته حَدٌّ، على معنى أنه لا ينتهي إلى معلوم لا يعلمه^(١).

أو يعني بالحد هنا أنه: مركَّبٌ من الجنس، والفصل، يكون للموصوفات الذي لا وحدة له^(٢)، ونفيه هذا الكلام بـ(ليس) نفي الحال الذي يمكن أن يوصف بها.

يتحصّل لك من هذا كيف أن رواية النفي بـ(ليس) أقوى، وأفضل من النفي بـ(لا).

٤. وتَد، ووتَد^(٣).

في قول أمير المؤمنين: «وَوَتَدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانِ أَرْضِهِ»^(٤).

الوتد: بالكسر: واحد الأوتاد، وبالفتح لغةً، وكذلك الودّ في لغة من يُدغم، تقول: وتدت الودت وتداً، وإذا أمرت قلت: تَد وتذك بالميتدة، وهي المدق، والوتدان في الأذنين: اللذان في باطنهما كأثهما وتَد، قال الأصمعيّ (ت ٢١٦هـ): يقال وتد واتد، كما يقال: شَغْلٌ شاغلٌ، ووتد الرجل: أنْعَظ^(٥).

(١) انظر: معارج نهج البلاغة: ٤١.

(٢) انظر: معارج نهج البلاغة: ٤٢.

(٣) في (أ): ٤٥ وتَد، وفي (سكون): ٦٨ وتَد، وفي (أردشير): ٦: وتَد، وفي تحقيق الفرطوسي: ١٧٤/١ (وتد)، وفي الهامش ٦ «فوقها علامة تخفيف في الأصل، وبتشديد التاء في س، ووتَد بالفتح؛ أي: ضرب الودت في الحائط، أو في غيره، وفي الحاشية: كأنه عبر بالتوتيد عن إزالة اضطراب الأرض، وما بعد كلمة التوتيد ذهب في الترميم، وأفدناه من المنهاج [منهاج البراعة]». (٤) نهج البلاغة: ٣٩.

(٥) انظر: الصّحاح: ٥٤٧/٢.

وأوتاد الأرض: الجبال؛ لأنها تثبتها، وأوتاد الفم: الأسنان، وكله على التشبيه بالوتد^(١).

وتدل هذه المادة بمجملها على إدخال شيء في محل، وإحكامه فيه، كإدخال مسبار، أو خشب، أو حجر في محل مع الإحكام، والشّد، ومفهوم الإثبات من لوازم الأصل^(٢).

وهو من باب ضرب كالوعد، ويشتق منه كما في الوعد، والوتد في الأصل صفة كالخشن، ويطلق على شيء كالسمار، وغيره يدخل في محل، ويُحكم، ويشد فيه^(٣).

ويعني به أمير المؤمنين: ثبت بسبب الجبال اضطراب الأرض، وحركتها؛ فهي كالوتد مانعة عن تزلزلها، واضطرابها، وهذا الكلام اقتباس من القرآن العظيم^(٤)، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ النحل: ١٥، وأيضاً قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ الأنبياء: ٣١، وأيضاً قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾^(٥) وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴿النبا: ٦-٧.

أمّا الفرق بين التعبيرين؛ فوجد على التّخفيف تعطي معنى وضع الأشياء (الأوتاد)، من دون مزيد عناية، ومبالغة بالأمر.

أمّا وتدلّ فيها معنى المبالغة؛ لأنّ التّشديد يُعطي هذه الزيادة^(٥)، أي: بالغ في زيادة التّوتيد، وإحكامه.

وفي معنى (وتدلّ) معنى التّثبيت للأرض؛ أي: ثبت بواسطة الصّخور الأرض،

(١) ينظر: المخصص: ج ٣ ق ٢ / (السفر الحادي عشر): ١٩.

(٢) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن: ١٣ / ١٨.

(٣) التحقيق في كلمات القرآن: ١٣ / ١٨.

(٤) ينظر: مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ١ / ٤٢.

(٥) انظر: صبح الأعشى: ٢ / ٢٤١.

وجعلها ثابتة كالوتد الراسخ في الأرض؛ وعلاقة الشَّبه أن الوتد ثابت في الأرض مثبتٌ لغيره، كذلك الجبال هي ثابت للأرض مثبتة للأرض؛ إلا أن الوتد ليس من جنس الموتد فيه على عكس الجبال، فهما من جنس واحد.

فضلاً عن ذلك عمليّة وضع الوتد، تتناسب والواضع؛ فالواضع مُحْكَمٌ لوضعه؛ فهذا التعبير منه سلام الله عليه، لتأكيد فعل الله تعالى.

وهنا لم ذكر أمير المؤمنين الصُّخُورَ، ولم يذكر الجبال؟.

لأنَّ إطلاقه على كلِّ مرتفعٍ صخريٍّ صخوراً أبلغ؛ فبعض الصُّخُور التي هي من المرتفعات الصَّخِمة لا ترقى إلى أن تكون جبلاً، كما هو الحال الآن في العلم الحديث «الجبل ما كان ارتفاعه ألف متر فصاعداً»، وما دون ذلك فهو مرتفعٌ صخريٌّ لمسمّى آخر (التلّ)^(١)، أو السَّهل^(٢).

واللهُ العالم.

٥. مِيدَان، وَمِيدَان^(٣).

في قول أمير المؤمنين: «وَوَتَدَ بِالصُّخُورِ مِيدَانَ أَرْضِهِ».

ولا مندوحة من الرجوع إلى اللغة لتبيان معاني اللَّفْظَيْنِ؛ ففي نهاية ابن الأثير: لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جعلت تميذ؛ فأرساها بالجبال، ماذ يميذُ، إذا مالَ، وتحركَ.

(١) في ويكيديا: (الجبل): أعلى من ألف قدم يسمّى جبلاً، و٥٠١ و٩٩٩ يسمّى تلاً، وهناك توصيف آخر للجبل في هذا الباب من الموسوعة ذكرته جامعة كامبريدج، يعطي أرقاماً أكبر، لك النظر فيه.

(٢) وللمزيد حول الجبال وأثرها، وتوجيه ذلك في كتاب (الإعجاز العلمي في نهج البلاغة)، د. لييب بيضون: ٣٠ وما بعدها.

(٣) في (أ): ٤٥ (مِيدَان)، وفي الهامش ٤ (في ن مِيدَان، ومِيدَان معاً)، وفي (أردشير): ٦ (مِيدَان)، وفي تحقيق الفرطوسي: ١٧٤/١ (مِيدَان).

ومنه حديث علي: «فسكنت من الميدان برسوب الجبال»، هو بفتح الياء: مصدر
مَادَ يَمِيدُ^(١).

وفي اللسان: مَادَ الشيءَ يَمِيدُ: زاغ وزكا؛ وَمَدُّهُ وَأَمَدُّهُ: أَعْطَيْتُهُ، وَاِمْتَادَهُ: طلب
أَنْ يَمِيدَهُ، وَمَادَ أَهْلَهُ إِذَا غَارَهُمْ وَمَارَهُمْ^(٢)، وَمَادَتِ الْأَغْصَانُ: تمايلت، وغصن مائِدٌ
ومِيَادٌ مائل^(٣).

وَالْمَيْدَانُ، بِالْفَتْحِ وَيُكْسَرُ، وهذه عن ابن عَبَّاد؛ أَي معروف، الميادينُ، قال ابنُ
الْقَطَّاعِ (ت ٥١٥ هـ) في كتاب الأبنية^(٤): اخْتَلَفَ فِي وَزْنِهِ، فَقِيلَ فَعْلَانُ، مِنْ مَادَ يَمِيدُ
إِذَا تَلَوَّى، وَاضْطَرَبَ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيْلَ تَجَوُّلٌ فِيهِ، وَتَشَنَّى مُتَعَطِّفَةً، وَتَضَطَّرَبُ فِي
جَوَلَانِهَا، وَقِيلَ وَزْنُهُ فَعْلَانُ مِنَ الْمَدَى، وَهُوَ الْغَايَةُ؛ لِأَنَّ الْحَيْلَ تَنْتَهِي فِيهِ إِلَى غَايَاتِهَا مِنْ
الْجَزْيِ وَالْجَوَلَانِ، وَأَصْلُهُ مَدْيَانٌ فَقُدِّمَتِ اللَّامُ إِلَى مَوْضِعِ الْعَيْنِ فَصَارَ مِيدَانًا، كَمَا قِيلَ فِي
جَمْعٍ بَازٍ بِيْزَانٍ، وَالْأَصْلُ بِيْزَانٌ، وَوَزْنُ بَازٍ فَلَعٌ وَبِيْزَانٌ فَلَعَانٌ، وَقِيلَ وَزْنُهُ فَيَعَالٌ مِنْ مَدَنَ
يَمْدُنُ إِذَا أَقَامَ؛ فَتَكُونُ الْبَاءُ وَالْأَلْفُ فِيهِ زَائِدَتَيْنِ، وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْحَيْلَ لَزِمَتِ الْجَوَلَانَ فِيهِ،
وَالْتَعَطَّفَ دُونَ غَيْرِهِ^(٥).

وَالنَّاظِرُ لَهُذِينَ اللَّفْظَيْنِ يَظُنُّ أَنَّ مَا حَصَلَ هُنَا مِنْ تَغْيِيرٍ هُوَ مِنَ الْإِبْدَالِ الْحَرَكِيِّ،
وَلَكِنْ هُنَا الْأَمْرُ مُخْتَلَفٌ؛ فَلَيْسَ كُلُّ تَغْيِيرٍ فِي الْحَرَكَةِ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ؛ «لِأَنَّ الْإِبْدَالَ الْحَرَكِيِّ

(١) النهاية، ابن الأثير: ٣٧٩ / ٤.

(٢) اللسان: ٤١١ / ٣.

(٣) المصدر نفسه: ٤١٢ / ٣.

(٤) انظر: كتاب الأفعال: ٢٠٥-٢٠٦، لعلي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم،
المعروف بابن القطّاع الصقلّي، المتوفى ٥١٥ هـ، الناشر: عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هـ /
١٩٨٣ م.

(٥) التاج: ٢٦٦ / ٥.

لا يغيّر المعنى عادةً؛ إذ بعض التّعيرات تؤدّي إلى تغيّر المعنى، وإن كان المعنى واحداً، والجذر واحداً (ميد).

كلتا المادّتين تدلّان على الحركة؛ إلّا أنّ (ميد) وعاء الحركة، و(ميد) هي الحركة.

فضلاً عن ذلك إنّهُ لا مسوّغ من إضافة الشيء إلى مرادفه؛ أعني إضافة الميدان (بالتّسكين)، والتي بمعنى الأرض، إلى (أرضه) التي في كلامه «وَوَتَدَّ بِالصُّخُورِ مَيْدَانِ أَرْضِهِ».

واللفظان يدلّان على الحركة، والاضطراب إلى شتّى الاتجاهات مع لحاظ الظرف، والمظروف.

وكذلك تدلّ هذه المادّة على الإعطاء، والزّوغان، والزّكاة (الكثرة)، مأخوذ من قولهم (مائدة)؛ فمادّتها الأصليّة (الميد) هي الانبساط، ومن هنا قد يكون المعنى المراد إنّ الجبال وُجِدَتْ منه تعالى لتعادل انبساط الأرض في الفضاء.

وأنا ميّال إلى رأي البيهقيّ، يقول: «من روى ميدان بجزم الياء فروايته ضعيفة؛ لأنّ اللفظ من: مادّ يميّد؛ إذا تحرّك، ومصدره الميدان بفتح الياء كالترّوان»^(١).

وهنا ترجّح رواية النسخة المضبوطة من ابن السكون، وابن أردشير الحليّين (ميدان).

والله العالم^(٢).

(١) ينظر: معارج نهج البلاغة: ٤٦.

(٢) في ١٤/٩/٢٠١٨م، أنهيت عملي، وتوقّفتُ هنا.

٦. جزأه^(١)، وجزأه^(٢).

في قول أمير المؤمنين: «وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ»^(٣)

بالهمز، وبلفظ خالٍ من الهمز (جزى)، و (جزأ).

جاء في العين: «جزأ: أجزأني الشيء، مهموز؛ أي: كفاني، وتجزأت بكذا، واجتزأت به؛ أي: اكتفيت به، وهذا الشيء يجزئ عن هذا، يهمز، ويلين، وفي لغة: يجزأ، قال:

وَأَنَّ الْغَدْرَ فِي الْأَقْوَامِ عَارٌّ

وَأَنَّ الْمَرْءَ يُجْزَأُ بِالْكَرَاعِ»^(٤)

والجزء، مهموز: الاجتزاء؛ أي: الاكتفاء، والجزوء أيضاً، تقول: جزئت الإبل، إذا اكتفت بالرطب عن الماء جزأ، وجزوفاً وجزواً غير مهموز، والجزئات: الوحش، والجميع: الجوازيء.. والجزء في تجزئة السهام: بعض الشيء، جزأته تجزئة؛ أي: جعلته أجزاء، وأجزأت منه جزءاً؛ أي: أخذت منه جزءاً، وعزلته، والجزأة: نصاب السكين، والمجزوء من الشعر، إذا ذهب فصل واحد من فصوله»^(٥).

وفي الصحاح: الجزء: واحد الأجزاء، وجزأت الشيء جزأً قسّمته، وجعلته أجزاء، وكذلك التجزئة، وجزأت بالشيء جزءاً؛ أي: اكتفيت به»^(٦).

(١) بدأ العمل فيه في ٢١/٩/٢٠١٨ م.

(٢) في (أ): ٤٦ جزأه، وفي (سكون): ٦٩ بالوجهين، ففي نسخة (ست) بلا سكون. انظر: الهامش:

(١) و(٢)، الصحيفة ٦٩ من نسخة ابن السكون، وفي (أردشير): ٧ (جزأه)، وفي تحقيق

الفرطوسي: ١/ ١٧٥ (جزأه).

(٣) نهج البلاغة: ٣٩.

(٤) أبو حنبل الطائي، كما في غريب الحديث: ١/ ٥٨، ينظر قصته مع امرئ القيس، والمثل «أوفي

من أبي حنبل» في ديوان امرئ القيس بشرح الأعلام الشنتمري: ٢١٧، وفيه (الحر) بدلاً من المرء.

(٥) العين: ٦/ ١٦٢-١٦٣.

(٦) الصحاح: ١/ ٤٠.

والجزء: الطائفة من الشيء^(١)، والمجزأ: المبعض، وتجزأ المال: تفرق، وتقسم^(٢)،
والجزء: النصيب، والقطعة من الشيء، والجمع أجزاء، وجزأت الشيء: قسمته، وجزأته
للتكثير^(٣).

والجزء والجزء: البعض، والجمع أجزاء، قال سيبويه: لم يكسر الجزء على غير ذلك،
وجزأ الشيء جزءاً وجزأه كلاهما: جعله أجزاء، وكذلك التجزئة، وجزأ المال بينهم
مشدداً لا غير: قسمه، وأجزأ منه جزءاً: أخذه^(٤).

والجزء بالضم: البعض، ويُفتح، ويُطلق على القسم لغةً، واصطلاحاً^(٥).
ومن هذا العرض المعجمي يتبين لنا المعاني المتكثرة لهذه المادة، وهي على النحو
الآتي:

١. الكفاية.
٢. التجزئة.
٣. المجزوء، بمعنى المقطع.
٤. الطائفة من الشيء.
٥. بمعنى الجزأ؛ أي: النصاب.
٦. ويأتي بمعنى التبعض.
٧. الجزء بالضم: البعض، وبالفتح: القسم.

(١) مقاييس اللغة: ١/ ٤٥٥.

(٢) أساس البلاغة: ١٢١.

(٣) انظر: النهاية: ١/ ٢٦٥.

(٤) اللسان: ١/ ٤٥.

(٥) التاج: ١/ ١٢٥.

وعليه فالأصل الواحد في هذه المادّة هو البعض، وقسمة من الشيء، وإليه يرجع التفرّق؛ أي: التبعض، والاقسام، وهكذا مفهوم النصيب؛ فإنّه حصّة معيّنة من الكلّ المفروض^(١).

وعند الملاءمة ترجع الأقسام في أعلاه إلى هذين المعنيتين، والله العالم.
أمّا عن (جزّاه)، و(جزّاه) فلا فرق بين المعنيتين؛ فلا يذهبن أحدٌ إلى أنّهما من جذرين مختلفين (جزأ) بالهمز، و(جزا) بغير همز؛ وإنّما استُسيغ هذا التّخفيف؛ لوجود الفتح قبل الهمز، قال الرضيّ: «وقد تبدّل الهمزة المفتوحة ألفاً إذا انفتح ما قبلها»^(٢)، ووجود الضمير المتّصل آخر الفعل (الهاء)، وإلا ما ساع له التّخفيف؛ لأنّ التّخفيف يجعلها حرفاً آخر.

ويبدو أنّ لغة التحقيق (جزّاه) أليق بالنصّ؛ لسبب لغويّ بحث، وهو عدم الفرق بين المعنيتين (بالهمز، ومن دونه).

وبسبب عقليّ هو ما أثر عن أمير المؤمنين: «نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أنّ جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما همزنا»^(٣)؛ فالعقل يقتضي العمل، والنطق بما جاء به القرآن الكريم، وهو التحقيق، مع أنّ البيّنة = اللهجة تقتضي التّخفيف، إلّا أنّ التحقيق جاء توقيفاً من الكتاب العزيز. فالتحقيق أصل، والتّخفيف استحسان.

ولم يذكر الشّراح الفرق بين التّخفيف، والتّحقيق؛ إذ لا فرق بينهما، ولهم في هذه العبارة توجيهات كلاميّة، وردود على من وجّهاها:

(١) انظر: التحقيق في كلمات القرآن: ٢/ ٧٩-٨٠.

(٢) شرح الرضيّ على الشافية: ٣/ ٤٧.

(٣) انظر: تهذيب المقال، للأبطحي: ١/ ٢٢٧.

«ومن ثَنَاه فقد جَزَّاه: الجنس جزء النَّوع، والفصل جزء آخر، وهما من أجزاء القِوام، من جَزَّاه؛ فقد جهله وما عرفه؛ فواجب الوجود، تعالى، لا فصل له، ولا جنس له، ولا حد له، ولا نوع له، ولا ند له؛ فكمال الإخلاص نفي الصفات عنه»^(١).

وذكر الخوئي في شرحه: «(ومن ثَنَاه فقد جَزَّاه)؛ لأن من فرضه ثاني اثنين، فقد جعله مركباً ذا جزأين، بأحدهما يشاركه في الوجود، وبالأخر يباينه، وأمّا ما ذكره الشارح المعتزلي^(٢) في تعليل التَّجزئة بقوله: لأنّه إذا أطلق لفظ الله على الذات والعلم القديم؛ فقد جعل مسمّى هذا اللفظ وفائدته متجزّية، كإطلاق لفظ الأسود على الذات التي حلّها السّواد؛ فليس بشيء؛ لأنّ الكلام في مرتبة الذات من حيث هي، لا من حيث إطلاق لفظة عليها، كما هو ظاهر (ومن جَزَّاه فقد جهله)؛ لأنّه اعتقد خلاف ما هو الواقع»^(٣).

٧. لا منظور، لا منظور^(٤).

في قول أمير المؤمنين: «بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ»^(٥).

وفي النسختين يكون الخلاف بين أن تكون (لا) لنفي الجنس، أو لنفي الوحدة (بالبناء والرّفْع).

(١) معارج نهج البلاغة: ٥٠.

(٢) ينظر: قول ابن أبي الحديد في شرحه: ٧٥ / ١.

(٣) منهاج البراعة، الخوئي: ٣٢٥ / ١.

(٤) في (أ): ٤٦ (لا منظور) بالفتح، وعلى هامش النسخة: (لا منظور)، وفي (سكون): ٦٩: (لا منظور) بالضمّ، وحسب، ومثله العبارة بعده (إذ لا سكن) في (أ): ٤٦، و(إذ لا سكن)، و(إذ لا سكن) في الوجهين في (سكون): ٦٩، والتوجيه فيها مثل توجيهه (إذ لا منظور) بالوجهين.

وفي (أردشير): (منظور)، وفي تحقيق الفرطوسي: ١ / ١٧٥ (منظور)، وفي الهامش: ٦ «بالبناء على الفتح، وتنوين الرّفْع في الأصل، وفوقها معاً»؛ يعني به: (منظور، ومنظور معاً).

(٥) نهج البلاغة: ٤٠.

والمنظور إليه ما يقع عليه النَّظَر؛ والمعنى: إِنَّ الله عالم بخلقه قبل أن يخلقَهُمْ^(١).

والمنظور إليه هو المُدْرَك؛ فكُنِيَ عن المُدْرَك بالمنظور إليه؛ فكأنَّه قال: هو تعالى على حالٍ لو كان مُدْرَكًا لأدرَكُهُ^(٢).

جاء في المغني «إذا قيل (لا رجل في الدَّار) بالفتح تعيَّن كونها نافية للجنس، ويقال في توكيده (بل امرأة)، وإن قيل بالرفع تعيَّن كونها عاملة عمل ليس، وامتنع أن تكون مهملةً، وإلا تكررَت كما سيأتي، واحتمل أن تكون لنفي الجنس، وأن تكون لنفي الوحدة، ويقال في توكيده على الأوَّل (بل امرأة)، وعلى الثاني (بل رجلان، أو رجال).

وغلط كثيرٌ من النَّاس؛ فزعموا أنَّ العاملة عمل ليس لا تكون إلا نافية للوحدة لا غير، ويردُّ عليهم، نحو قوله:

تعرَّزَ فلا شيء على الأرض باقيا

[ولا وزرٌ مما قد قضى الله واقياً]^(٣)

إلا أنَّ الرضِيَّ^(٤) فرَّق بين طريقين للنفي بهما (الجنس، والوحدة)، وهما:

النَّصُّ في النَّفي: وهو الذي لا يحتمل التَّأويلات، والوجوه.

والظَّاهر^(٥): وهو الذي يحتمل وجهين أو أكثر؛ فيكون النَّفي بـ(لا) النَّافية

(١) منهاج البراعة: ٣٤٧/١، وفي ظلال نهج البلاغة: ١٢٦/١.

(٢) معارج نهج البلاغة: ٥٣.

(٣) مغني اللبيب: ٢٩٣/٣ (تحقيق الخطيب)، وقائل البيت غير معروف.

(٤) انظر: الكافية: ١٥٦/٢.

(٥) انظر: المنحول، الغزالي: ١٦٧.

للجنس من التعبيرات النَّصِيَّة، والنَّفْي بـ(لا) التي تشبه (ليس) من التعبيرات الاحتمالية^(١).

وبتعبير آخر: إنَّ (لا) النَّافِيَة للجنس، و(لا) المشبَّهة بـ(ليس)، وما بمعناها من أدوات النَّفْي الواردة على المنكر أو النكرة، وإن كانت تفيد العموم، وتدُلُّ على عموم النَّفْي، إلَّا أنَّهم ذكروا أنَّ الأولى تدلُّ عليه بطريق النصِّ، والبواقي بطريق الظُّهور؛ ولذا لا يجوز أن يُقال: لا رجل في الدار؛ بل رجلان، ويجوز أن يُقال: ليس في الدار رجل؛ بل رجلان، وما في الدار رجل بل رجلان، وما رأيت رجلاً بل رجلين.

والسَّرُّ في الفرق إنَّ (لا) النَّافِيَة للجنس تقتضي أن يكون مدخولها من قبيل اسم الجنس، وهو ما دلَّ بالوضع على الماهية من حيث هي، ونفي الماهية يستلزم نفي جميع أفرادها، وظاهر أن إثبات البعض يناقض نفي الجميع؛ ولذا لا يصحُّ أن يُقال: بل رجلان، في ما إذا صدق قولنا: لا رجل في الدار؛ للزوم التناقض، بخلاف (ليس)، و(لا) المشبَّهة بها وغيرها؛ فإنَّ الغالب فيها كون مدخولها نكرة، وهي ما يدلُّ بالوضع على (فردٌ ما) من الماهية؛ أي مفهوم (فردٌ ما)؛ فإذا وردت عليها أداة النَّفْي كانت ظاهرة في نفي مفهوم (فردٌ ما).

وظاهرٌ: إنَّ نفي مفهوم (فردٌ ما) يستلزم نفي جميع مصاديقه، وحيث إنَّ فرداً ما يتضمَّن الوحدة المستفادة من التَّنوين؛ فيحتمل كون النَّفْي المستفاد من الأداة متوجَّهاً إلى الوحدة، وحسب دون مفهوم الفرد، وحينئذٍ يصحُّ أن يُقال: بل رجلان بعد قولنا: ليس في الدار رجل؛ لأنَّ نفي الوحدة لا ينافي إثبات الاثنين، إلَّا أنَّ هذا الاحتمال مخالف للظاهر؛ لظهور إرادة النفي في التوجُّه إلى مفهوم الفرد؛ ولأجل

(١) انظر: معاني النحو: ١/ ٣٣٣.

قيام الاحتمال المذكور كان دلالتها على عموم النفي على وجه الظهور، وليس نحوه قائمًا في (لا) النافية، إذ لم يؤخذ في معنى مدخولها وحدة حتّى يحتمل توجه النفي إليها^(١).

وبعد كلّ ما عرضنا، يكون وجه قول أمير المؤمنين «إذ لا منظور إليه من خلقه» بالبناء هو الوجه القويّ، والأليق بسياق الخطبة؛ لما أسلفنا من كلام؛ لأنّه يتحدّث عن عدم وجود منظورٍ إليه من خلقه، ولا حتّى اثنين أو أكثر؛ فنفي استغراقًا وجنسًا وجود هذا المنظور من كمّ، وكيف.

هذا من جهة المنظور، أمّا من جهة الناظر، وهو الله؛ فالبصر أمر إضافيّ يلحق ذاته بالنسبة إلى مبصر، وهو أمر يلحق ذاته أزلاً، وأبدًا، ولا شيء من المبصرات بالحسّ موجود أزلاً؛ لقيام البراهين العقلية على حدوث العالم حتّى يمكن أن يلحقه النسبة بالقياس إليه؛ فوجب أن لا يكون من حيث هو بصيرًا بهذا المعنى، ويحتمل أن الإشارة بـ(إذ) في قوله «إذ لا منظور إليه» إلى اعتبار كونه مقدّمًا على آثاره من جهة ما هو متقدّم؛ فإنّه بالنظر إلى تلك الجهة لا منظور إليه من خلقه معه، وهو عالم لذاته وبذاته مطلقًا؛ وإذ ليس بصيرًا بالمعنى المذكور؛ فهو إذن بصيرٌ بالصّفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات، وبها تظهر الأسرار، والخفّيات، فهو الذي يشاهد، ويرى حتّى لا يعزب عنه ما تحت الثرى، وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السرّ، وأخفى.

وهذه الآلة، وإن عُدّت كمالًا، فإنّها هي كمال خاصّ بالحيوان، وكماله بها وإن كان ظاهرًا، إلّا أنّه ضعيفٌ قاصرٌ؛ إذ لا يمتدّ إلى ما بعد، ولا يتغلغل في باطن وإن قرب؛ بل

(١) ينظر: تعلّيقه على معالم الأصول، السيّد عليّ الموسويّ القزويني: ٥٠٩/٢، وانظر أيضًا: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي: ٤٣/٢.

يتناول الظواهر، ويقصر عن البواطن^(١).

أضف إلى ذلك السياق الذي ذكرت فيه هذه العبارة «كائنٌ لا عن حدثٍ، موجودٌ لا عن عدمٍ، مع كلِّ شيءٍ لا بمقارنَةٍ، وغير كلِّ شيءٍ لا بمزايلَةٍ، فاعلٌ لا بمعنى الحركات والآلة؛ إذ لا منظور إليه...» يدلُّ على نفْيٍ مطلقٍ، ومتواترٍ؛ فالنظرُ إلى الخلق غير موجودٍ، ومنتفٍ لطبيعة السياق، والحديث الذي جاء فيه؛ لأنَّه حديث عن أوَّل الخليفة، وتقرَّد الله سبحانه، بدليل قوله المتبع لكلامه: «متوحِّدٌ إذ لا سكنَ يستأنس به، ولا يستوحش لفقده»؛ فلو كانت لنفي الوحدة؛ لجاز لنا أن نقول: إذ لا منظور إليه واحدٌ، بل منظوران، ولا سكنٌ يُستأنس به، بل سَكَنان.

ومن جهةٍ أخرى إنَّ إعمال (لا) عمل (ليس) قليلٌ، يقول أبو حيَّان الأندلسي: «.. لقلَّة إعمال (لا) عمل ليس»^(٢).

فضلاً عن ذلك النَّفي باستعمال هو نصُّ بالنفي أقوى من النفي باستعمال هو احتمال به.

وما أجمل ما قاله ابن ميثم البحرانيّ (ت ٦٩٩هـ)^(٣): «لا منظورٌ إليه من خلقه معه» أنفة الذكر؛ فيثبت المطلوب: وهو (لا منظور). والله أعلم بالصواب.

(١) انظر: شرح ابن ميثم البحرانيّ: ١/ ١٢٩.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ١/ ١٦٠.

(٣) المشهور في وفاته ٦٨١هـ، إلَّا أنَّ السيّد الجلاليّ في فهرس التراث: ١/ ٦٨٢، ذكر وفاته ٦٩٩هـ؛ ينقله عن شيخه الطهرانيّ.

ولكنَّ الشيخ عبد الرَّهراء العويناتيّ حَمَّن أنَّه كان حيًّا سنة ٦٨٧هـ، بقرائن التلمذة، والإجازة التي منحها لأحد تلامذته. انظر: كتابه: ابن ميثم البحرانيّ حياته وآثاره، كان حيًّا سنة ٦٨٧هـ، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/ ١٣٩٣ش، نشر مؤسَّسة تراث الشيعة، انظر: الصحيفة: ٢٤-٢٥.

٨. هَمَامَة، وَهَمَّة، وَهَمَاهِمَة^(١).

في قول أمير المؤمنين: «وَلَا هَمَامَة نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا»^(٢).

الاهتمام: الاغتمام، واهتمَّ له بأمره، ويقال لما أذيب من السَّنام: الهاموم، والهَمَّة: واحدةُ الهَمَم، يقال: فلان بعيد الهَمَّة أيضًا بالفتح، وهَمَمْتُ بالشيء أهُمُّ هَمًّا، إذا أردته، ويقال: لا مَهَمَّة لي بالفتح، ولا هَمَام؛ أي: أهُمَّ بذلك، ولا أفعله، والهَمَهمة: ترديد الصَّوت في الصَّدر^(٣).

والهَمُّ يدلُّ على ذوب، وجريان، وديب، وما أشبه ذلك؛ ثمَّ يُقاس عليه، ومنه قول العرب: هَمَّنِي الشَّيءُ أَذَابَنِي، وَاثَمَّ الشَّحْمُ: ذاب، والهاموم: الشَّحم الكثير، الإهالة.

والسَّحاب الهاموم: الكثير الصَّوب، والهاموم: البئر الكثيرة الماء، ومهمَّ الأمر: شديده، وأهمَّنِي: أَقلَقَنِي، والقياس واحد^(٤).

جاء في أساس البلاغة «أَهَمَّه الأمر حتَّى هَمَّه؛ أي: أَذابه، ووقعت السُّوسة في الطعام فهَمته هَمًّا أَكلتْ لبابه وجوفته، واهتمَّ به، ونزل به مهمَّ، ومهمَّات، وسمعتهم يقولون: استهمَّ لي في كذا، ورجلٌ ذو هَمَّة، وهمم، وهَمَام عَظِيم الهَمَّة، وهذا رجل هَمَّتْكَ من رجل، وهذا سيف كهَمِّك وكهَمَّتْكَ، قال زهير:

(١) في (أ): ٤٦: (هَمَامَة)، وفي النسخة (ن) من الضبط نفسه (هَمَامَة) بتشديد الميم، وفي (سكون): ٧٠ (هَمَامَة، وَهَمَّة)، وقد وردت في كتاب البيهقيّ (معارج نهج البلاغة): ٥٥ رواية أخرى، وهي (هَمَاهِمَة نفس) مأخوذ من الهَمَهمة، وهي ترديد الفكر، وسيأتي.
وفي (أردشير): ٦: هَمَامَة، وفي تحقيق الفرطوسي: ١ / ١٧٥ (هَمَامَة)، وفي الهامش: ١٣ (س، ج: هَامَة).

(٢) نهج البلاغة: ٤٠.

(٣) ينظر: الصَّحاح: ٢٠٦١-٢٠٦٢.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ١٣ / ٦.

كهمّك إن تجهد تجدها نجية

صبوراً وإن تسترخ عنها تزيد

ترد في سيرها، وقال القطامي:

تلاهن عني واستعنت بأربع

كهمة نفسي شارة وشباباً^(١)

والمُهَمَّاتُ من الأمور: الشدائدُ المُحرِّقَةُ، وهَمَّه السُّقْمُ يَهْمُهُ هَمًّا أَذَابَهُ، وَأَذْهَبَ لَحْمَهُ، وَهَمَّنِي المَرَضُ: أَذَابَنِي، وَهَمَّ الشَّحْمُ يَهْمُهُ هَمًّا: أَذَابَهُ؛ وَانْهَمَّ هُوَ، وَهَمَّ بِالشَّيْءِ يَهْمُهُ هَمًّا: نَوَاهُ وَأَرَادَهُ، وَعَزَمَ عَلَيْهِ، وَالهَمَّةُ وَالْهَمَّةُ: مَا هَمَّ بِهِ مِنْ أَمْرٍ لِيَفْعَلَهُ، وَقَوْلُ: إِنَّهُ لَعَظِيمُ الْهَمِّ، وَإِنَّهُ لَصَغِيرُ الْهَمَّةِ، وَإِنَّهُ لَبَعِيدُ الْهَمَّةِ وَالْهَمَّةِ، بِالْفَتْحِ، وَالْهُمَامُ: الْمَلِكُ الْعَظِيمُ الْهَمَّةِ، وَفِي حَدِيثِ قُسٍّ: أَيُّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ؛ أَيُّ الْعَظِيمِ الْهَمَّةِ، شَيْخُ هَمَّةٍ، بِالْهَاءِ، وَالْأُنْثَى هِمَّةٌ بَيْنَهُ الْهُمَامَةِ، وَالْجَمْعُ هِمَّاتٌ وَهَمَائِمٌ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، وَالْمَصْدَرُ الْهُمُومَةُ وَالْهُمَامَةُ، وَالْهُمْمَةُ: الْكَلَامُ الْخَفِيُّ، وَقِيلَ: الْهُمْمَةُ تَرْدُّدُ الزَّئِيرِ فِي الصَّدْرِ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَقِيلَ: الْهُمْمَةُ تَرْدِيدُ الصَّوْتِ فِي الصَّدْرِ^(٢).

وماله همامة في هذا الأمر، ولا همّة؛ أي لا يهَمُّ به، والهمامة: التَّردُّدُ، والهمهمة: ترديد الصوت في الصدر، والاهتمام: الاغتمام، ومنه الحديث: إِذَا كَانَ اللَّهُ قَدْ تَكَفَّلَ فِي الرِّزْقِ، فَاهْتِمَّاكَ لِمَاذَا؟^(٣).

وبعد عرض المعاني اللغوية، يتبيّن لنا معاني (هَمَمَ)، وعلى النحو الآتي:

١. بمعنى الاهتمام (الحزن).

(١) أساس البلاغة: ١٠٦٦، وبيت زهير في ديوانه: ٢٢٢، والقطامي في ديوانه: ١٦٠.

(٢) اللسان: ١٢/٦١٩-٦٢٢.

(٣) مجمع البحرين: ٦/١٨٩.

٢. الذُّوب.

٣. الإرادة.

٤. الكثير (الجهة والمادة).

٥. الشَّدِيد.

٦. القَلِقُ، أو المَقْلُق.

٧. الهَمَام، بعيد الهمة.

٨. الصَّوت الخفي، وترديد الصَّوت.

٩. الهامة = التردُّد.

١٠. الرَّجُل المسنُّ، والمرأة.

وبعد ملاحظة هذه المعاني المتكثرة لهذا البناء، نجدُها تتردَّد بين العزم، والاعتِمام، والذُّوب، والكثرة، والترديد، وكلُّ هذه المعاني لا يمكن نسبتها إلى الخالق جلَّت قدرته.

فيكون معاني (هم): «العزم على فعل مع شروع في مقدّماته، ومن مصاديق الأصل: الهامة والهوامُّ بمعنى الحشرات المؤذية القاصدة جانب شخص، والعزم على تعلُّق بشيء أو وصول إليه، والاهتمام: اختيار ذلك العزم، والشُّروع، وأمّا الحزن: فباعتبار العزم والشُّروع في تهيئة المقدّمات، إذ لم يصل إلى المطلوب، ويلاحظ هذا العزم مجرداً وفي نفسه، وأمّا الهمُّ: فإنَّ الرجل المسنَّ مصداق ذلك الاهتمام، واختيار العزم والشُّروع مع أنّه بسبب الضَّعف لا يوفِّق في العمل؛ وأمّا الإذابة: فهو حزن شديد؛ فهذه المفاهيم إذا لوحظت فيها قيود الأصل: فهي حقيقة»^(١).

(١) التَّحْقِيق في كلمات القرآن: ٢٨٦/١١.

هذا ما ذكره المصطفوي في معنى (همّ)، ولي فيه ملاحظ:

١. وهو أنّ الاهتمام افتعال من همّ، وهو يدلّ على الوقوع بالأمر من دون اختيار، فكيف يكون الاهتمام اختياراً؟.

٢. إنّ المعنى اللغويّ للاهتمام هو الاغتمام، وهو مأخوذ من الغمّ؛ فكيف يكون الاهتمام عزماً على الشروع بالمقصود.

٣. وهذا ما دعا أستاذنا الدكتور نعمة رحيم العزّاويّ رحمه الله (ت ٢٠١١م) إلى نفي التعبير بقولهم «اهتمّ بالقراءة»، وما شاكلها، واستبدالها بتعبير صحيح «اعتنى بالقراءة».

٤. إنّ المعاني الحسيّة هي الأصل في المعاني المعجميّة، وما يتبعها من معاني غير حسيّة (معنويّة) فرعٌ عليها؛ فكيف يمكن أن ننظر إلى أصليّة هذه المعاني جميعاً، ونخبرك بأنّها كلّها أصلٌ، وحقيقة؟.

أمّا معاني (همّامة، وهمّة، وهماهمة) فكلّها معاني واردة في كلام أمير المؤمنين، مع اعتبار النفي، ولحاظه عن الذات المقدّسة؛ لأنّ حقيقتها الميل النفسانيّ الجازم إلى فعل الشيء مع التألم، والغمّ بسبب فقدّه كان ذلك في حقّ الله تعالى محالاً لوجهين:

أحدهما: إنّ الميل النفسانيّ من خواصّ الإنسان طلباً لجلب المنفعة، والباري سبحانه منزّه عن الميول النفسانيّة، وجليب المنافع.

الثاني: إنّّه مستلزم للتألم المطلوب، والتألم على الله تعالى محال؛ وإذ ليس إيجادّه تعالى للعالم على أحد الأنحاء المذكورة^(١).

(١) تفسير المحيط الأعظم والبحر الحُضَمّ في تأويل كتاب الله العزيز المحكم: حيدر الآمليّ:

تحقيقات في المختلف من نسخ نهج البلاغة بين المشهور وضبط

الحليين (ابن السكون الحلي ت حدود ٦٠٠ هـ) و (ابن

أردشير الطبري الحلي حيا ٦٨١ هـ) (الخطبة الأولى / القسم الثاني)

أما التعبير بـ (هماهمة)؛ وهي مأخوذة من (الهمهمة)، وهي ترديد الصوت، وجب
أن يقال بعدها (نفس)، لا (نفس)؛ لتناسب الهمهمة، وهي ترديد الصوت والنفس،
والله العالم.

